الضعف التي قد تتراءى له في زوايا نفسه ، يتجاهلها ، ويتعامى عنها ، ويبعدها عن نفسه كلما ألمت به ، ولهذا كانت العواطف التي تبعث على الحزن ضعيفة ، لأن الألم والبكاء تنفر منهما النفس وتقر بطبيعتها إذ الانسان لا يرضى أن يعترف بضعفه ، واذا اعترف لم يبق على هذا الاعتراف طويلا ، ومن العواطف الضعيفة عاطفة المدح فأنها عاطفة شخصية تتصل بنفس الشاعر وذاته ، ولا تعبر عن شيء عام يشترك فيه الجميع . نعم إن تخلصت من ذاتيتها ، تدحت المروءة أو حضت على خلق كريم تغير حالها ، وعلت مرتبتها ، لأنها حينئذ تفصح عن شيء يشترك فيه الجميع ويقدره

والعاطفة ، ليست وحدها كل شيء في الشعر بل يجب أن تضاف اليها الفكرة التي تنظمها وتهيئها للحياة والظهور ، وكل الفنون ماعدا الموسيقى لابد فيها من الفكرة حتى تتلذذ العاطفة ، وليس من الواجب أن تخترع الفكرة ، وانما الواجب أن تظهر في معرض جديد يوضح عمل صاحبها وقوة ايمانه بها ، والشعر قد يكون فكرا خالصا فيبحث في أعمق المسائل التي تشغل عقول الفلاسفة من مثل طبيعة الخير والشر ، وحينئذ لا يكون شعرا بالمعنى الصحيح الا اذا امتزج بالقلب فأصبح عاطفة قوية تفيض منه لا من العقل ، تخاطب الشعور والوجدان قبل أن تخاطب الأفكار والأذهان ، ولقد أحسن قدماؤنا حين قالوا (الكلمة اذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان)

والشعر في الواقع رسالة كرسالة الأنبياء ، فهو يقوم على الالهام أكثر من أي شيء آخر ، والايمان بالفكرة ووضوحها هما الملكان اللذان يوحيان إلى الشاعر بالمعاني الجميلة المعجبة ، والصور الفريدة المعجزة ، فيخرج للناس أفكاره نيرة واضحة ، كأنها وهج الحريق في الليل البهيم ، فلا تجد تكلفا ولا تعملا ، وانما هي زهور جميلة ينثرها الشاعر على رغمه كما ينثر الزيتون زهوره ، وما أشبه الفكرة القلقة يقولها الشاعر بالعصفور المضطرب الحيران التائه من عشه ، ويجب أن تكون الفكرة قوية ، ليكون الشاعر مبدعا ، رائعا ، حتى إذا أراد أن يحلق في السماء انتهى الى أعلاها فكان نجما زاهرا بين نجومها ، وللأسف نجد الشعر العربي تعوزه القوة في كثير من الأحيان ، ولعل هذا هو السر في أن الشاعر العربي إذا أراد أن يحلق فوقنا ارتفع ارتفاع السحاب في السماء الدنيا ولم

الحركة الوطنية الاشتراكية الالمانية

٣ — البرنامج الداخلي في طور التنفيذ

للأستاذ محمد عبد الله عنان

رأينا كيف نشأت الوطنية الاشتراكية الالمانية واستمدت قوتها من عوامل اليأس والفوضى التي غمرت الشعب الالماني عقب الحرب ، ومن مختلف المصائب والمتاعب التي توالت عليه من جراء شروط الصلح وأعبائه ، ومن تفاقم الخطر الشيوعي ، وفشل الديموقراطية والنظم البرلمانية في معالجة الحالة وتسيير الشؤون ، من تفاقم العطلة والأزمة الاقتصادية ؛ هذا من الناحية السلبية ، واما من الناحية الايجابية فان وعود الوطنية الاشتراكية في العمل على تحقيق وحدة المانيا وسلامها ورخائها ؛ ومكافحة الخطر الشيوعي وحل مشكلة العطلة ، وانهاض الزراعة والصناعة والتجارة ومعالجة الأزمة الاقتصادية بوجه عام ؛ ثم في تحرير المانيا من عسف الظافر ومن أعباء معاهدة الصلح ؛ كانت كلها تبث الامل والانتعاش في الجموع وفي الشباب بنوع خاص ، وتحشد حول علم الوطنية الاشتراكية ملايين الانصار

والآن لنر كيف عملت الوطنية الاشتراكية لتنفيذ برنامجها

يستطع الارتفاع إلى أعلى أكثر من ذلك ، لأن أجنحته ليست قوية ، على أنه سرعان ما يدنو الينا وينزل من سمائه إلى أرضنا

والعواطف والأفكار لا تكون وحدة الشعر بنفسها ، وانما الذي يصنع ذلك هو الخيال الشعري ، فهو المنظم للأفكار والعواطف وهو المخرج لها ، هو الذي يجمعها وينفخ فيها بروح من لدنه فتستوي عاطفة معبرة تشخص لها ونعجب بجمالها ، وإذا تجردت قطعة شعرية منه فلا تسمى أدبا ، فاذا شاهد شخص حديقة جميلة في مكان وجاء يقول : لقد رأيت حديقة بها أزهار واشجار وما الى هذا لم يكن هذا شعرا ، وانما الشعر هو الذي يحمل للناس أبهة الخيال فيظهر للناس في وحدة جميلة بديعة تسترعي الأنظار ، وتخلب الألباب ، وأي خيال أجمل من قول كيتس « يوجد الغد مبرعما في نصف الليل » ؟

شوقي ضيف
بكلية الآداب

الداخلي منذ قبضت على مقاليد الحكم فى ٣٠ يناير الماضى .

لم تمض أسابيع قلائل حتى استأثر الهر هتلر وحزبه بكل سلطة حقيقية ، وغمر تيار الوطنية الاشتراكية المانيا من أقصاها الى أقصاها ، وبدأت ككل حركة ثورية تنفذ برنامجها بمنتهى العنف والسرعة فوجهت ضرباتها الاولى الى الشيوعية والديموقراطية : سحق الشيوعية أو المركسية من غاياتها الرسمية كما بينا ، ولكنها اتجهت الى سحق كتلة اليسار كلها باعتبارها مسئولة عن كل مصائب المانيا منذ خاتمة الحرب ؛ وجدت فى مطاردة الحزب الشيوعى فرقته ابلغ تمزيق وصادرت مراكزه وأمواله وصحفه ونشراته ، واعتقلت كل زعمائه ونوابه وانصاره ، وسحقت دعايته بكل ماوسعت ، ومزقت الحزب الديموقراطى الاشتراكى اعظم الاحزاب البرلمانية منذ نهاية الحرب ، ونكلت بزعمائه ونوابه وانصاره ، واعتقلتهم كالشيوعيين آلافا مؤلفة ، وصادرت كل مراكزه وصحفه ؛ واختفت الشيوعية والديموقراطية من المانيا بسرعة مدهشة ، فى الظاهر على الاقل ؛ وحققت الوطنية الاشتراكية الالمانية فى ذلك ماحققته الفاشستية الايطالية يوم قيامها ، بيد انها كانت اشد عنفا وقسوة ؛ وكانت وسائلها أشد إثارة وأغراقا ، ولا ريب ان سحق الوطنية الاشتراكية للشيوعية كان عملا جليلا ، بل لعله أجل خدمة ادتها الى ألمانيا والى الدول الغربية كلها ، ذلك ان البلشفية (الشيوعية) خطر اجتماعى على النظام والمدنية كلها ؛ وكانت قد تقدمت فى المانيا الى حدود مروعة ، وكانت تحمل اكبر تبعة فيما اصاب المانيا من الاضطراب والخراب والفوضى ، وكانت المانيا وما زالت حاجز البلشفية من الشرق ، بيد أن الوطنية الاشتراكية كانت مسرفة فى مطاردة الديموقراطية ، وكانت تقصد بسحقها الى غايات حزبية لا الى غايات قومية ، بل لم يقف الحزب الوطنى الاشتراكى عند سحق كتلة اليسار ، ولم يطق أن يرى الى جانبه اى حزب آخر فى المانيا مهما حدت مبادئه ووسائله ، فقال على الحزب الوطنى الالمانى ، وحزب الوسط الكاثوليكى ؛ وهما الحزبان اللذان حالفاه وعاوناه على استخلاص الحكم والسلطة المطلقة : وانتهى بحلهما وإدماج أنصارهما فيه ، وبذلك اختفت كل الاحزاب البرلمانية السابقة من ميدان السياسة الالمانية ، واستطاع هر هتلر ان يفرض الوطنية الاشتراكية على المانيا كلها

ولما كانت الوطنية الاشتراكية حركة طغيان مطلق ، وقد بدأت بتعطيل الحياة الدستورية ، فقد كان طبيعيا ان تعمل على إخماد جميع الحريات الدستورية حتى لاتقف عثرة فى سبيلها . ولم تكتف فى ذلك بمطاردة خصومها السياسيين القائهم فى تكنات الاعتقال آلافا مؤلفة دون اية تهمة ، وإصدار القوانين الاستثنائية المختلفة بل عمدت الى الصحافة مظهر الرأى الحر فسحقتها وأخضعتها لرأيها ووحيها ، وجعلتها تابعة لوزارة الدعاية التى انشأتها ، وعطلت كل صحيفة مخالفة فى الرأى ، وجعلت مهنة الصحافة نوعا من المهن الرسمية . وكما انه لا يستطيع اليوم إنسان فى المانيا ان يرفع صوته بالاعتراض على شىء من أعمال الحكومة ، فكذلك لاتوجد صحيفة المانية واحدة تستطيع ان تقول رأيا غير رأى الحكومة ؛ ووزارة الدعاية (ووزيرها الدكتور جبلز) هى التى ترسم للصحافة كلها خططها وتلقى اليها اوامرها ووحيها . والشعب الالمانى لايعرف من سير الحوادث والشئون فى المانيا الا ما تذيعه صحافته الرسمية . ولم تفعل الوطنية الاشتراكية الالمانية فى ذلك سوى أن حذت حذو البلاشفة فى روسيا والكماليين فى تركيا والفاشست فى ايطاليا. ومن الطبيعى انه حيثما قام الطغيان المطلق تنعدم كل ألوان الحرية الفردية . وهذا ماوقع فى المانيا . ويفسر لنا انصار النظام الهتلرى ذلك بان المانيا قد اصبحت كلها تدين بمبادئ الوطنية الاشتراكية وغاياتها وتؤيد سياستها ووسائلها بكل ماوسعت ؛ ولكن كيف يمكن استجلاء الرأى العام اذا جرد من كل وسائل الاعراب والافصاح ؟

هذا وأما من جهة تركيز السلطة فقد خطت الوطنية الاشتراكية فى ذلك خطوة جريئة ؛ وأصدر المستشار هتلر مرسوما يقضى بالغاء استقلال الحكومات والمجالس الاتحادية وإخضعها بطريقة مباشرة لسلطة الحكومة المركزية وبجردها من كل سلطة معارضة ؛ وتلك بلا ريب خطوة هامة فى سبيل تدعيم الوحدة الالمانية ؛ وتدعيم هذه الوحدة كما رأينا من أخص غايات الوطنية الاشتراكية . وتستطيع ان تدرك أهمية هذا الانقلاب متى ذكرنا كيف كانت الحكومات المحلية فى بعض الولايات القوية (مثل بافاريا) تقاوم فى كثير من الاحيان سياسة الحكومة المركزية وأعمالها . وكيف كانت الدسائس الاجنبية تتسرب اليها لتنظم فيها دعوة الانفصال (مثلما حدث فى منطقة الرين ايام احتلال الحلفاء) تمزيقا لوحدة المانيا واضعافا لها . وقد حقق هر هتلر فى ذلك غاية قومية جليلة ، وأتم العمل العظيم

الذى بدأه بسمارك فى سبيل الوحدة الالمانية . وثمة خطوة أخرى اتخذت فى سبيل تركيز السلطة السياسية هى إلغاء نظام النقابات القديم وتنظيمها طبقا لدستور جديد يحرم عليها كل عمل سياسى ويجعلها بما تضم من ملايين عديدة خاضعة للحكومة من حيث توجيهها الاقتصادى والاجتماعى ؛ وهذا ايضا تقليد من جانب الوطنية الاشتراكية للفاشستية الايطالية التى عرفت قوة النقابات فنظمتها واستخدمتها لغاياتها .

وقد بذلت الحكومة الوطنية الاشتراكية جهودا لابأس بها لمكافحة العطلة وإنعاش الزراعة والتجارة ؛ وحذت حذو الفاشستية فى العناية باخلاق النشء ومطاردة الوان الفساد الاجتماعى والجنسى ، وتعزيز الميول الرياضية والاخلاق المحافظة ؛ وفى الحد من حرية المرأة وتدخلها فى الشئون العامة ، وتوجيهها الى المنزل والاسرة - وتلك من عناصر قوتها وتقدمها

***

والآن ننتقل الى مشكلة من أخطر وأدق المشاكل التى أثارتها الوطنية الاشتراكية الالمانية : تلك هى مشكلة الجنس وتطهيره وتفوقه ، أو بعبارة أخرى هى المسألة اليهودية : ونحن نعرف أن سحق اليهودية الالمانية غرض أساسى من أغراض الوطنية الاشتراكية ، وأنه أدرج منذ الساعة الأولى فى برنامج الحزب الوطنى الاشتراكى فى مادة خاصة هذا نصها :

« لا يحق لغير أعضاء الأمة أن يكونوا موظفين فى الدولة ، ولا يحق لغير أولئك الذين ينحدرون من دم المانى مهما كان مذهبهم أن يكونوا أعضاء فى الأمة ؛ واذن فليس ليهودى أن يكون عضوا فى الأمة » (المادة الرابعة) : ويخصص هر هتلر فى كتابه «جهادى» حيزا كبيرا لنظرية الجنس ؛ ويشرح بافاضة خطر الجنس اليهودى وخواصه المنحطة ؛ ويعتبر الجنس الآرى وحده أهلا لانشاء الحضارة ، والجنس اليهودى أشد الاجناس هدما للحضارة ؛ وان الحضارات الانسانية العظيمة لا تفنى إلا لان الجنس المنشىء لها يفنى بامتزاج الدم وتسممه ، وأن تاريخ الأمم الآرية يدل على أنها تنحط وتتدهور كلما انحرفت عن مبدأ فصل الاجناس وامتزجت بالشعوب المغلوبة ؛ ويعدد هتلر مزايا الجنس الآرى ، ثم يتحدث عن خواص الجنس اليهودى ، فيقول إنه جنس يضطرم بالاثرة ، وانه ذكى ولكنه مقلد مجرد من الابتكار والطرافة ، وانه لم يخلق لنفسه أية حضارة خاصة ، ولا يحدوه أى مثل أعلى : ثم يصف الطرق التى يتبعها اليهودى فى دخول المجتمعات الجرمانية ، فيقول إنه يحل فى اثر الجيوش الاجنبية ، ويتقدم كتاجر ويشتغل بالوساطة والربا الخطر ، ويحتكر التجارة ويرهق الفلاحين ؛ ويجتمع اليهود فى احياء أو مجتمعات خاصة ، وينشئون بذلك دولة داخل الدولة ، ثم يملقون رجال السلطة والامراء ويمدونهم بالمال ، ويستظلون بنفوذهم وحمايتهم ، ويسيطرون على البورصة والانتاج ؛ ثم يملقون الشعب ويدعون له فى ثوب محبى الانسانية وأصحاب النظريات الحرة ، ويتكلمون الالمانية ولكنهم يحرصون كل الحرص على نقاء جنسهم ، ويستعملون لتعزيز نفوذهم أداتين قويتين هما الصحافة والبناء الحر (الماسونية) : هذا من الناحية الاجتماعية ، وأما من الناحية السياسية ، فان هتلر يعتبر الشيوعية (الماركسية) يهودية فى أصلها وفى غاياتها (١) ؛ ويقول لنا إن الوطنية الاشتراكية تؤمن بزعامة الجنس وأهمية الفرد وتجل الزعامة والفكرة الارستوقراطية ، ولكن الماركسية ديموقراطية حرة تحل مكان الفرد فكرة الجماعة وتتخذ من ذلك وسيلة لتمكين اليهودية من الاستئثار بالنفوذ العالمى .

وليس فيما يقوله هر هتلر عن اليهودية شىء جديد ، وانما هو ترديد فقط للنظرية الالمانية القديمة التى قامت عليها خصومة السامية الحديثة . وكان الكاتب الالمانى كرستيان لاسن أول من نوه فى منتصف القرن الماضى بأهمية الفوارق الجنسية بين الجنس الآرى والجنس السامى ، وبتفوق الآريين فى الذهنية والخواص الجنسية على الساميين ، وتبعه المؤرخ الفرنسى رينان فى التنويه بانحطاط الاجناس السامية . وقد كانت ألمانيا منذ أواخر القرن الماضى مهدا خصبا لخصومة السامية (أو حركة اضطهاد اليهود) وكان بسمارك قبل قيام الامبراطورية يصادق اليهود ويعتمد عليهم فى تحقيق سياسته لانهم كانوا بين الاحرار قوة بارزة ، وكان الاحرار يؤيدون وحدة ألمانيا ؛ فلما تحققت الوحدة الالمانية انقلب بسمارك لمحاربة الاحرار واليهودية ووجد فى خصومة السامية سلاحا قويا ، وتفاقمت الحركة غير بعيد ، وأيدها المحافظون ورجال الدين وسرت الصيحة بان اليهود خطر على ألمانيا وألفت صداها فى الراى العام

---

(١) يلاحظ أن كارل ماركس أمام النظرية الشيوعية يهودى الاصل

(٢) راجع كتاب هتلر « جهادى » Mein Kampf — الفصل الحادى عشر من القسم الاول

بقوة . وعرض اليهود الى صنوف الاضطهاد والزراية واقترح بعض النواب إبعاد اليهود عن الوظائف والمدارس ، ونظمت الجهود لمقاطعة التجارة اليهودية ، وكادت الحركة تضرم فى ألمانيا نار الحرب الاهلية لولا أن رأى جماعة من العقلاء والمفكرين وعلى رأسهم ولى العهد (الامبراطور ولهلم الثانى فيما بعد) خطورة الحركة وسوء عواقبها ، فاذاعوا منشوراً وقعه كثير من أعلام العصر شرحوا فيه اخطار هذه الخصومة القومية ، ووصفوها بانها وصمة فى شرف ألمانيا ، وناشدوا الشعب أن يعود الى السكينة والاعتدال فهدأت الحركة واضمحلت بسرعة(١) وانصرف عنها معظم العقلاء والمعتدلين ،

وهذه نفس النظرية ـ نظرية الخصومة السامية ـ التى نقلها هرهتلر وصاغها فى برنامج حزبه كمبدإ أساسى يجب ان تعمل الوطنية الاشتراكية لتحقيقه ، والتاريخ هنا يعيد نفسه ، وقد عملت الوطنية الاشتراكية منذ تولت مقاليد الحكم لحق اليهودية بمنتهى العنف والقسوة والسرعة ، فطاردت اليهود فى كل مناحى الحياة العامة بشدة ، وقضت الحكومة الهتلرية بطرد جميع الموظفين غير الآريين (اليهود) من وظائفهم فى جميع مصالح الحكومة المركزية والمحلية ، وإقصاء جميع المستخدمين والعمال اليهود عن اعمالهم فى جميع الجهات والهيئات والاعمال ، وعزل جميع القضاة وأساتذة الجامعات والمعلمين اليهود ، وقضت بطرد الاطباء اليهود من جميع المستشفيات العامة وشطب اسمائهم من سجل الاطباء والجمعيات الطبية ، وفرضت عليهم فى مزاولة العمل الخاص قيودا تستحيل معها مزاولة المهنة ، وحرمت على معظم المحامين اليهود مزاولة مهنتهم ، وحرمت على اليهود فى المستقبل مزاولة المهن والاعمال التى تقتضى درجة عالية من التعليم ، وجعلت للطلبة اليهود فى المدارس الثانوية والعالية نسبة ضئيلة ، وحددت نسبتهم فى المستقبل بواحد فى المائة ، ونظم الحزب الوطنى الاشتراكى من جهة أخرى مقاطعة التجارة اليهودية فى سائر المانيا ، ونفذها بطريقة رسمية يوم أول ابريل الماضى ردا على دعوة اليهودية فى الخارج إلى مقاطعة التجارة الالمانية ، وعلى الجملة فان الحكومة الالمانية لم تترك حقا مدنيا او سياسيا لليهود إلا سلبته ولم تترك لهم وسيلة مشروعة للحياة والعيش والعمل الا سحقتها ، وصيغ ذلك كله فى طائفة من القوانين الاستثنائية التى لم يسمع بها ، ونفذ فى غمر من المناظر المروعة ، وارتكبت خلال تنفيذه سلسلة من الاعتداءات والجرائم المثيرة كان لها فى الرأى العالمى أشد وقع ، واتخذت ذريعة لحملات شديدة على الوطنية الاشتراكية الالمانية وعلى مبادئها ووسائلها

ولا نقف طويلا عند هذه الحوادث المعروفة ، ولكن يحسن أن نلخص الأسباب والحجج التى تبرر بها الوطنية الاشتراكية موقفها . فهى تقول ان اليهود يبلغون فى المانيا نحو واحد فى المائة فقط من مجموع الشعب الالمانى (نحو سبعمائة الف من ٦٥ مليونا) ومع ذلك فقد استطاعوا فى ظل الحكومات الديموقراطية ان يحصلوا على اعظم قسط من النفوذ والسلطان فى دوائر الحكم والمالية والثقافة والمهن الحرة والفنون والتجارة والصناعة ، وكل مقومات الحياة العامة ، وانهم بلغوا فى بعض هذه الميادين نسبا لم يسمع بها ، مثال ذلك ان نسبة الاطباء اليهود فى برلين بلغت ٥٢ فى المائة من المجموع وبلغت أكثر من ذلك فى المحاماة ، وبلغت نسبتهم فى دوائر البورصة تسعين فى المائة ، ووصلت أيضا فى دوائر التعليم الى حدود مزعجة ، مثال ذلك انه كان بجامعة برزولا سنة ١٩٣١ من الاساتذة لليهود ٢٥ فى المائة فى كلية الفلسفة و٤٧ فى المائة فى كلية الحقوق و٤٥ فى المائة فى كلية الطب . واما فى الدوائر المالية فقد كان نفوذهم فوق كل نفوذ ، مثال ذلك انه فى سنة ١٩٢٨ كان خمسة عشر يهوديا يسيطرون على إدارة ٧١٨ شركة المانية وهكذا . وتزيد الوطنية اشتراكية ان كثيرا من اليهود الذين تصدهم بالمطاردة ليسوا من اليهود الالمان ، ولكنهم وفدوا على المانيا عقب الحرب من اوكرانيا وغاليسيا وبولونيا وانهم من العناصر المنحطة التى يخشى منها على سلامة الجنس الجرمانى . بيد ان مطاردة اليهودية فى المانيا كانت عامة شاملة كما تقدم

والواقع ان الوطنية الاشتراكية الالمانية لا تقف فى صوغ نظرية تفوق الجنس وفهمها عند هذا الحد ، بل تذهب فى ذلك الى أبعد مدى . فهى تنادى بتفوق الجنس الآرى على جميع الاجناس الاخرى لا على الجنس اليهودى وحده ، وترى ان الاجناس غير الآرية كلها اجناس منحطة ، وتعتبر شعوب البحر الابيض الحنوية والشعوب السامية والشرقية بوجه عام كلها من الشعوب المنحطة التى يجب ان يستعبدها الجنس الآرى ، ويجب ان يحرص على نقائه من الامتزاج بها . وهذه نظرية تستحق منا نحن المصريين والشرقيين عامة تأملا خاصا ، ولسنا فى حاجة لأن نقول انها

(١) راجع شرحا وافيا لنظرية الخصومة السامية وتطوراتها فى المانيا وغيرها فى كتاب « ديوان التحقيق والمحاكمات الكبرى » ص ٥٠٤ وما بعدها

لاتقوم على سند من العلم أو البحث أو التفكير السليم ، لانها ليست الامظهرا جديدا لما تجيش به الشعوب الغربية نحو الشرق من أثرة وتحامل وليست الا عنواناجديدا لتلك النزعة الاستعمارية الغربية التى ترى فى الشرق ابدا فريسة يجب التسابق لاقتسام اشلائها . على أن اغراق الوطنية الاشتراكية فى نزعتها الجنسية وما أثارته باسمها من ضرام الخصومة السامية ، وما لجأت اليه فى تنفيذ سياستها من العنف والبطش . انتهت الى نتائج لم تكن تتوقعها ، فقد اتخذت كما قدمنا مادة لحملات شديدة على ألمانيا فى معظم دول العالم ، وكان لذلك أثره فى هيبة ألمانيا وسمعتها ومصالحها الخارجية ، وكان اكبر عامل فى تحول الرأى العام فى انكلترا وأمريكا عن مناصرة ألمانيا فى ميدان السياسة الدولية

هذا ما فعلته الوطنية الاشتراكية الألمانية لتنفيذ برنامجها الداخلى وسنرى فى الفصل القادم كيف سارت فى تنفيذ برنامجها الخارجى

محمد عبد الله عنان

وقفه ثالثة على جسر أسماعيل

.... أما أنا فلم أقف على هذا الجسر .. لأن مشيتى عليه كانت أقرب إلى العدو منها الى الوقوف .... إن شيئا فقد منى فكيف تطلب منى ان أقف ... ؟ دعنى أسير لابحث عنه .. ودع قلبى يسبق بصرى إلى ماوراء الجسر ... والجسر ... ماوراؤه ...؟ إننى لم أجد شيئا — إن نفسى كانت حائرة ... ولكن الحيرة لم تطرق الى بصرى ... فقد كان ساهما جامدا مصوبا الى ماوراء الجزيرة ، الى ماوراء الأفق ... الى الشفق البعيد ، ففيه قتمة من قتمة الليل .. وفيه ظلام من ظلم البشر ...

فكيف كنت تطلب منى ياسيدى ان أقف ... ؟ لقد كان «بافنوس» آثما فى بحثه عن « تايس » .. لذلك كانت وقفاته كثيرة .. أما أنا فلماذا أقف ... ؟ إن هرم « خوفو » بعيد عن الجسر .. فاذا وصلته قمته بعيدة عن القاعدة ... فاذا أدركتها فالفضاء وسيع فسيح ...

* * *

وقف استاذى على جسر اسماعيل فتمهل وتريث ... للجسر جمال ... للطير تغريد ... للماء بريق ...

أما أنا فلم أقف ، لأن الاعمى لايسر ناظريه ماقد يكون حوله من جمال أو بهاء أو رواء ..

أما أنا فلم أقف لأن الاسم لايطربه تغريد البلبل ... والاذن المصلوم لايزينه قرط ..

أما أنا فلم أقف لأن المشرف على الغرق لايتغزل فى جمال الطبيعة ولا يستهويه خرير الماء أو تلاطم الامواج ..

إن النيل الذى يجرى تحت الجسر لو خلا سحر المنظر لوقف فى مكانه يا سيدى كما وقفت ... ولكنه مثلى مثقل بالهموم ، مقيد بالأوهام ، محمل بالارزاء ، لذلك يهرول باحثا عن البحر ... ليلقى فيه الغرين الذى يثقله ... وليدفع عنه الشاطىء الذى يقيده .. وليذيب أوزاءه فى صفائه ، ويمزج سكونه فى اضطرابه ..... والفرق بينى وبين النيل ... أن النيل يجد بغيته ، أما أنا فلا أجد ...

* * *

ثم وقف صديقى على جسر اسماعيل فتأوه وتأسى ... فالأسد نائم ... والسكنات متيقظة ...

حقا يا صديقى إن من يرى دمعك ينهمل ... لا تمهله دموعه ... ولكن ... ... اعذرنى يا صديقى لأننى لم ألق لك بالا ... ولم أسمع أنين قلبك وأنت واقف على جسر اسماعيل ... لأن أنين قلبى قد طغى على نفسى فلم أر ولم أسمع ...

يا أستاذى ...

فى نفسى من نفسك قبس . ولكن بصرى عليه غشاء ...

يا صديقى ...

فى قلبى ... من قلبك شعلة . ولكن خافق مريض .....

لقد بحثت عن حبيبتى فى كل بقع الأرض فلم أجدها ..... من أجل ذلك رأيتنى أسير مهرولا على جسر اسماعيل محدقا ببصرى إلى ماوراء الجسر .. إلى ماوراء الجزيرة ... إلى ماوراء الأفق ... إلى الشفق البعيد .. ففيه قتمة من قتمة الليل ، وفيه ظلام من ظلم البشر .....

جورج وغريس